

الغاية من الحياة-403-1.0

الغَايَةُ مِنَ الْحَيَاةِ

اللجنة العلمية بجمعية خدمة المحتوى الإسلامي باللغات
كتاب الغَايَةِ مِنَ الْحَيَاةِ يَتَنَاوَلُ إِثْبَاتَ وجودِ اللَّهِ الْخَالِقِ،
وَنَفْيَ فَرَضِيَّاتِ الصُّدْفَةِ وَالتَّوَلُّدِ الدَّائِيّ، ثُمَّ يَبَيِّنُ صفاتِ اللَّهِ
الْكَامِلَةِ مِنَ الْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ وَالْغِنَى، وَيُوكِّدُ حِكْمَةَ خَلْقِ الْإِنْسِ
وَالْجَنِّ لِعِبَادَتِهِ وَحَدَهُ، وَيَشْرَحُ حَقَّ اللَّهِ فِي التَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ
الْخَالِصَةِ، وَيُوضِّحُ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الدِّينُ الْحَقُّ الَّذِي جَمَعَ
رِسَالَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، مَعَ إِبْرَازِ إعْجَازِهِ وَصِيَانَتِهِ، ثُمَّ يَخْتُمُ بِدَعْوَةِ
الْإِنْسَانِ لِمُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ بِالدُّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ.

الغَايَةُ مِنَ الْحَيَاةِ

(وُجُودُ الْخَالِقِ)

اللجنة العلمية بجمعية خدمة المحتوى الإسلامي باللغات
يَتَسَاءَلُ الْإِنْسَانُ فِي رَحَلَتِهِ الْعُقْلِيَّةِ عَنْ أَصْلِ الْكُونِ وَمُنْشِئِهِ:
مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ؟
كَيْفَ يَنْتَظِمُ وَيَسْتَقِرُّ هَذَا الْكُونُ الْعَظِيمُ بِقَوَانِينِهِ الَّتِي تَضْبِطُهُ
ضَبْطًا دَقِيقًا عَلَى مَرِّ السِّنِينَ؟

هَلْ خَلَقَ هَذَا الْكُونُ نَفْسَهُ؟ أَمْ جَاءَ مِنْ لَا شَيْءٍ؟ أَمْ وُجِدَ
صُدْفَةً؟ مَنْ خَلَقَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ؟

لَوْ نَظَرْتَ إِلَى جَسَدِكَ تَحْتَ الْمِجْهَرِ؛ لَرَأَيْتَ عَالَمًا مِنَ الدِّقَّةِ
وَالْإِعْجَازِ، فَكُلْ خَلِيَّةٍ فِي جَسَدِكَ تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا مَعْلُومَاتٍ
وَرَائِيَّةٍ شَفَرَاتُهَا مُعَقَّدَةٌ. هَلْ سَأَلْتَ نَفْسَكَ: مَنْ كَتَبَ هَذِهِ الشَّفَرَاتِ؟
وَمَنْ وَضَعَهَا فِي مَكَانِهَا الصَّحِيحِ؟

كُلُّ بِنَاءٍ شَاهِقٍ، وَكُلُّ بَيْتٍ مُتَوَاضِعٍ، يَخْكِي قِصَّةَ صَانِعِهِ؛
هَلْ يُعْقَلُ أَنْ يُوجَدَ هَذَا الْكَوْنُ الْفَسِيحُ بِجَمَالِهِ وَدِقَّتِهِ وَانضِبَاطِهِ
تَفَاصِيْلِهِ بِلَا صَانِعٍ؟!

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ: كَمَا لَا يَقْبَلُ عَقْلُكَ أَنْ يُقَالَ لَكَ: إِنَّ هَاتِفًا ذَكِيًّا
مُتَقَنَّ الصَّنْعَ ظَهَرَ فَجَاءَ بِلَا مُصَمِّمٍ وَلَا صَانِعٍ، أَوْ أَنَّ شَبَكَةً مُعَقَّدَةً
مِنَ الْأَجْهَرَةِ تَعْمَلُ بِنَتَاغَمٍ وَدِقَّةٍ بِلَا مُبْرِمْجٍ أَوْ مُشْرِفٍ، فَكَذَلِكَ لَا
يَقْبَلُ الْعَقْلُ الصَّحِيحُ أَنْ يُقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذَا الْكَوْنَ الْعَظِيمَ بِكُلِّ مَا فِيهِ
مِنْ نِظَامٍ وَإِبْدَاعٍ وَقَوَائِنٍ دَقِيقَةٍ وَنِظَامٍ مُتَقَنَّ قَدْ وُجِدَ بِلَا خَالِقٍ؟!
وَتَأْتِي الْآيَةُ الْقُرْآنِيَّةُ وَاضِحَةً لَتُوجِيهِ الْعَقْلَ نَحْوَ التَّأَمُّلِ
الْعَمِيقِ فِي هَذَا السُّؤَالِ الْمِحْوَريِّ. يَقُولُ اللَّهُ الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى: ﴿أَمْ خُلِفُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخُلَفَاءُ 35﴾ [الطور: 35]
لِتَضَعْنَا الْآيَةَ أَمَامَ ثَلَاثَةِ احْتِمَالَاتٍ عَقْلِيَّةٍ:

1. هَلْ يُمَكِّنُ لِلْكَوْنِ أَنْ يَكُونَ قَدْ وُجِدَ مِنَ الْعَدَمِ؟ وَهَذَا
مُسْتَحِيلٌ؛ فَالْعَدَمُ لَا يُوجِدُ شَيْئًا.
2. هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ خُلِقَ نَفْسُهُ؟ وَهَذَا أَيْضًا مُسْتَحِيلٌ؛
فَالشَّيْءُ لَا يَخْلُقُ نَفْسَهُ.
3. يَبْقَى الْإِحْتِمَالُ الْمَنْطِقِيُّ، وَهُوَ أَنَّ لِهَذَا الْكَوْنَ خَالِقًا عَظِيمًا
قَدِيرًا.

إِنَّ كُلَّ قِطْعَةٍ مِنْ هَذَا الْكَوْنِ، مِنْ أَصْغَرِ ذَرَّةٍ إِلَى أَكْبَرِ مَجَرَّةٍ،
تَدُلُّ عَلَى عِظَمَةِ خَالِقِهَا؛ يَسْتَحِيلُ عَقْلًا أَنْ يَكُونَ هَذَا النِّظَامُ
الدَّقِيقُ قَدْ نَشَأَ مِنَ الْفَوْضَى. إِنَّ الْعَقْلَ يَرْفُضُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَوْنُ
نَشَأَ مِنَ الْعَدَمِ، أَوْ أَنَّ هَذَا النِّظَامَ الْبَدِيعَ الْمُعَقَّدَ نِتَاجُ صُدْفَةٍ عَمِيَاءٍ!

(صِفَاتُ الْخَالِقِ)

وَكَمَا أَنَّ الْعَقْلَ الصَّحِيحَ وَالْفِطْرَةَ السَّوِيَّةَ يَقُودَانِ الْإِنْسَانَ إِلَى الْإِيمَانِ بِوُجُودِ خَالِقٍ لِلْكُونِ؛ فَإِنَّهُمَا يَدْفَعَانِنَا أَيْضًا لِلتَّأَمُّلِ فِي صِفَاتِ هَذَا الْخَالِقِ وَحَقِّهِ عَلَيْنَا.

إِنَّ التَّأَمُّلَ فِي صِفَاتِ هَذَا الْخَالِقِ يَفْتَحُ لَنَا أَبْوَابًا مِنَ الْإِدْرَاكِ الْعَمِيقِ حَوْلَ ضَرُورَةِ اتِّصَافِهِ بِالْكَمَالِ الْمُطْلَقِ وَتَنْزِيهِهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ.

وهذا يَعْنِي أَنَّ الْخَالِقَ يَتَّصَفُ بِكُلِّ صِفَاتِ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ وَالْجَلَالِ وَالْعَظَمَةِ، فهو سبحانه القَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْعَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، الْحَكِيمُ فِي كُلِّ مَا خَلَقَ وَقَدَّرَ. وهذا الكمال ليس مجرد احتمال؛ بَلْ ضَرُورَةٌ عَقْلِيَّةٌ؛ لِأَنَّ أَيَّ نَقْصٍ فِي صِفَاتِهِ سَيُؤَدِّي إِلَى خَلَلٍ فِي الْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، وهو مَا يَتَنَافَى مَعَ مَا نَشْهَدُهُ مِنَ إِتْقَانٍ فِي الْكُونِ.

كما أَنَّ التَّنْزِيهَ عَنِ النَّقْصِ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْخَالِقُ غَنِيًّا عَنْ مَخْلُوقَاتِهِ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؛ بَلِ الْجَمِيعُ مُفْتَخِرُونَ إِلَيْهِ فِي وُجُودِهِمْ وَبِقَائِهِمْ. وهو سبحانه مُنَزَّهٌ عَنِ الشَّرِيكِ وَالْوَلَدِ؛ لِأَنَّهُمَا مِنْ مَظَاهِرِ النَّقْصِ وَالْعَجْزِ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُنَزَّهٌ عَنِ ذَلِكَ كُلِّهِ. إِنَّ النَّظَرَ إِلَى الْكُونِ بِتَأَمُّلٍ وَتَدَبُّرٍ يَقُودُنَا إِلَى الْيَقِينِ بِأَنَّ مَنْ أَوْجَدَ هَذَا الْكُونَ بِهَذَا الْإِبْدَاعِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا خَالِقًا كَامِلًا فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، مُنَزَّهًا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ، مُسْتَحَقًّا لِلْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ وَحْدَهُ.

وإِثْبَاتُ صِفَاتِ الْكَمَالِ لِلرَّبِّ سُبْحَانَهُ، يَقْتَضِي وَحْدَانِيَّتَهُ، وَأَنَّهُ الْمُتَفَرَّدُ بِالْكَمَالِ عَنْ كُلِّ مَنْ سِوَاهُ، فَالْكَمَالُ التَّامُّ لَا يَلِيْقُ إِلَّا

بِوَاحِدٍ؛ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ هُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ.

والله سبحانه ليس مُجَرَّدَ مُوجِدٍ لِلْكَوْنِ فَحَسْبُ! بَلْ هُوَ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ فِيهِ، الَّذِي بِيَدِهِ أَمْرُ كُلِّ شَيْءٍ، وَالَّذِي يُدَبِّرُ شُؤْنَهُ بِحِكْمَتِهِ؛ فَلَا يَحْدُثُ فِي هَذَا الْكَوْنِ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَمَشِيئَتِهِ. وَهُوَ الرَّزَّاقُ الَّذِي تَكْفَّلَ بِأَرْزَاقِ عِبَادِهِ، فَأَوْجَدَ لَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَسْبَابِ الْحَيَاةِ وَالْبَقَاءِ.

فَإِذَا كَانَ اللَّهُ هُوَ الْخَالِقُ الْعَظِيمُ الْمُتَّصِفُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْعَظَمَةِ، وَهُوَ الَّذِي أَوْجَدَنَا وَأَوْجَدَ الْكَوْنَ مِنَ الْعَدَمِ، وَهُوَ مَالِكُ جَمِيعِ مَا فِيهِ، وَهُوَ الَّذِي يَرْزُقُنَا وَيُحْيِيُنَا بِرَحْمَتِهِ، وَهُوَ الْمُدَبِّرُ الْمُتَصَرِّفُ بِكُلِّ شَيْءٍ؛ أَفَلَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَشْكُرَهُ، وَنَبْحَثَ كَيْفَ نَكْسِبَ رِضَاهُ، وَكَيْفَ نُوَدِّي حَقَّهُ الْوَاجِبَ عَلَيْنَا، وَأَنْ نَعْمَلَ لَتَحْقِيقِ الْغَايَةِ الَّتِي خَلَقْنَا لِأَجْلِهَا؟!

(الْغَايَةُ مِنَ الْخَلْقِ)

هَلْ مِنَ الْمُنْطِقِ أَنْ يَخْلُقَنَا اللَّهُ، ثُمَّ لَا يُبَيِّنُ لَنَا مَا الَّذِي يُرِيدُهُ مِنَّا؟

لِمَاذَا نَحْنُ هُنَا؟ مَا الْغَايَةُ وَالْهَدَفُ مِنْ وُجُودِنَا فِي الْحَيَاةِ؟

مَا الَّذِي سَيَحْدُثُ لَنَا بَعْدَ الْمَوْتِ؟

تَأْمَلْ مَعِيَ: لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا بَنَى قَصْرًا فَخْمًا، وَزَوَّدَهُ بِأَحَدِثِ وَسَائِلِ التِّكْنُولُوجِيَا، حَتَّى إِذَا انْتَهَى مِنْ تَشْيِيدِهِ؛ أَقْدَمَ فَجَاءَهُ عَلَى هَدْمِهِ بِالْكَامِلِ. هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ نَصِفَ هَذَا الْإِنْسَانَ بِالْحِكْمَةِ؟ أَلَيْسَ مِنَ الْبَدِيهِيِّ أَنْ يُعْتَبَرَ تَصَرُّفًا كَهَذَا عَبَثِيًّا لَا يَلِيقُ بِعَاقِلٍ؟

فَإِذَا كَانَ هَذَا الْفِعْلُ غَيْرَ مَقْبُولٍ فِي حَقِّ إِنْسَانٍ، فَكَيْفَ نَتَخَيَّلُ أَنَّ اللَّهَ الْحَكِيمَ الْخَبِيرَ، قَدْ خَلَقَ هَذَا الْكَوْنَ الْبَدِيعَ بِإِبْدَاعٍ وَإِتْقَانٍ، ثُمَّ يَهْدِمُهُ بِلَا هَدَفٍ أَوْ حِكْمَةٍ؟!

لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْبَشَرَ لِحِكْمَةٍ عَظِيمَةٍ، وَهِيَ عِبَادَتُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلِيُخْتَبَرَ هُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَجَعَلَ لَهُمْ مِيعَادًا يُبْعَثُونَ فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِيَحَاسِبُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ؛ فَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاسْتَجَابَ لِدَعْوَتِهِ؛ كَانَ لَهُ نَعِيمُ الْجَنَّةِ خَالِدًا فِيهَا، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْحَقِّ؛ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

(حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْبَشَرِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)
إِنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا، وَمِنْ أَعْظَمِ مَقَوِّمَاتِ اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ أَنْ يَكُونَ الْمَعْبُودُ هُوَ الْخَالِقُ الْمُدَبِّرُ الرَّازِقُ الْمُتَّصِفُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ.

أَمَّا مَنْ عَذَاهُ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ ضَعِيفَةٍ عَاجِزَةٍ لَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا نَفْعًا وَلَا ضَرًّا؛ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُصَرَّفَ لَهَا شَيْءٌ مِنَ الْعِبَادَةِ. إِنَّ عِبَادَةَ هَذِهِ الْأَصْنَامِ وَالْمَخْلُوقَاتِ الضَّعِيفَةِ تُعَدُّ انْحِرَافًا عَنِ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ الَّتِي تُقَرُّ بِوُجُوبِ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، خَالِقِ الْكَوْنَ سُبْحَانَهُ.

فَالْعِبَادَةُ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَيْنَا؛ لِأَنَّهَا الْغَايَةُ مِنْ وُجُودِنَا، وَهِيَ دَلِيلُ شُكْرِنَا وَإِقْرَارِنَا بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ وَالْوُحَيْيَّةِ. وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ عِبَادَةِ اللَّهِ، أَوْ أَشْرَكَ مَعَهُ غَيْرَهُ؛ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَحَادَ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ، وَسَيُنَالُ جَزَاءَ فِعْلِهِ فِي الْآخِرَةِ.

تَخَيَّلْ أَنْ شَخْصًا مَنَحَكَ مِليونَ دُولَارًا، كَيْفَ سَيَكُونُ رَدُّ فِعْلِكَ تَجَاهَهُ؟ لَا شَكَّ أَنَّكَ سَتَشْكُرُهُ وَتُثْنِي عَلَيْهِ بِامْتِنَانٍ.

والآن، لو قال لك شخص آخر: إنه سيمنحك مليونين مقابل أن تعطيه بصرك، هل ستقبل؟ بالتأكيد؛ لا يقبل ذلك عاقل!

فتأمل أن الله سبحانه وتعالى هو من خلقك وأكرمك بالسمع والبصر، وأحاطك بنعم لا تحصى. هو الذي يجري الدم في عروقك، ويرزقك الماء والهواء، وأنت في كل لحظة بحاجة إليه. لو لا رحمته وعنايته، لهلكت وتلاشت قوتك. بل إنه سبحانه تكفل برزقك وأنت جنين في بطن أمك، عاجز لا تملك من أمرك شيئاً.

أَلَا يَسْتَحِقُّ هَذَا الْخَالِقُ الْعَظِيمُ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ رِضَاهُ؟! أَلَا
يَسْتَحِقُّ أَنْ تَشْكُرَهُ عَلَى نِعَمِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالرُّسُلِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ
لِيُرْشِدُوكَ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالسَّعَادَةِ؟!
أَفَلَا يَسْتَحِقُّ هَذَا الْخَالِقُ الْعَظِيمُ أَنْ تُعْبُدَهُ كَمَا يَرِيدُ هُوَ، لَا كَمَا
تَرِيدُ أَنْتَ؟!!

تأمل لو أردت أن تُهدي أمك هديةً، هل كنت ستختار ما يُرضي هَواكَ، أم كنت ستجتهد في معرفة ما تحبُّه هي؛ لتُسرِّدها بما يناسبها؟ كذلك عبادةُ الله جلَّ وعلا، لا ينبغي أن تكونَ وفق أهوائنا أو عاداتنا الموروثة، بل كما أرادها هو سبحانه، وعلى النحو الذي أمرنا به.

فَالْعِبَادَةُ لَيْسَتْ مَجْرَدَ طُقُوسٍ أَوْ عَادَاتٍ؛ بَلْ هِيَ إِعْلَانٌ
لِلْخُضُوعِ التَّامِّ وَالْمَحَبَّةِ الصَّادِقَةِ لِلْخَالِقِ، وَاعْتِرَافٌ بِأَنْ مَنْ
خَلَقَنَا وَأَسْبَغَ عَلَيْنَا نِعَمَهُ أَحَقُّ بِأَنْ نَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ عَلَى
الْوَجْهِ الَّذِي يَرْضَاهُ. أُنَعِبُدُ اللَّهَ كَمَا نَشَاءُ نَحْنُ، بَيْنَمَا هُوَ الْعَلِيمُ
الْحَكِيمُ الَّذِي يَعْلَمُ مَا يَصْلُحُ لَنَا وَمَا يَرْتَضِيهِ؟

إِنَّ الْعِبَادَةَ الْحَقَّةَ تَتَّبِعُ مِنْ إِدْرَاكِنا لِعَظَمَةِ اللَّهِ وَاسْتِشْعَارِنا لِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ. وكلما اقْتَرَبْنَا مِنْ تَنْفِيزِ أَمْرِهِ، وَأَخْلَصْنَا فِي طَاعَتِهِ كَمَا أَرَادَ؛ زَادَ قُرْبُنَا مِنْهُ، وَزَادَ رِضَاؤُهُ عَنَّا. أَفَلَا تَسْتَحِقُّ هَذِهِ الْعِلَاقَةُ الْمُقَدَّسَةُ أَنْ نُخْلِصَ لَهَا تَمَامَ الْإِخْلَاصِ، بَعِيدًا عَنِ أَهْوَانِنَا وَتَقَالِيدِنَا؟

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)

لِذَلِكَ أَرْسَلَ اللَّهُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ؛ لِيُخْبِرُونَا عَنِ الْغَايَةِ مِنْ وَجُودِنَا فِي الدُّنْيَا، وَعَنِ الْهَدَفِ مِنَ الْحَيَاةِ، وَكُلِّ الرُّسُلِ كَانَتْ رِسَالَتُهُمْ وَاحِدَةً؛ وَهِيَ رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنْ هُنَاكَ مَنْ قَامَ بِالتَّحْرِيفِ وَالتَّغْيِيرِ لِمَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ السَّابِقِينَ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ خَاتَمَ الرُّسُلِ مُحَمَّدًا ﷺ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ آخِرَ الرِّسَالَاتِ لِلْبَشَرِيَّةِ وَهِيَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَهُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ الَّتِي تُثَبِّتُ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ الْكِتَابُ الْوَحِيدُ الَّذِي لَمْ يَتَعَرَّضْ لِلتَّحْرِيفِ وَالتَّغْيِيرِ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ لَنْ يَقْبَلَ مِنَ الْإِنْسَانِ غَيْرَ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ كَانَتْ رِسَالَتُهُمْ وَاحِدَةً وَهِيَ الدَّعْوَةُ لِتَوْحِيدِ الْخَالِقِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

مَا يُمَيِّزُ الْإِسْلَامَ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَدْيَانِ هُوَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ هُمُ الْوَحِيدُونَ الْقَادِرُونَ عَلَى تَقْدِيمِ الْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْحَقَائِقِ الْعِلْمِيَّةِ، بِالْاعْتِمَادِ عَلَى مَصَادِرِ الْمَعْرِفَةِ الْمُوثُوقَةِ لِإِثْبَاتِ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ الَّذِي بَيَّنَّ أَبْدِينَا الْيَوْمَ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ، الْمَحْفُوظُ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّحْرِيفِ.

فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَدْ تَحَدَّى بِهِ الْبَشَرِيَّةَ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا أَنْ يَأْتُوا

بمثله، أو حتى بسورة واحدة مثله، فَعَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ، وما زال التَّحْدِي قائماً إلى يومنا هذا دُونَ أَنْ يَتِمَّكَنَ أَحَدٌ مِنَ الْإِتْيَانِ بِشَيْءٍ يَمِثُّهُ فِي الْبَلَاغَةِ، وَالْبَيَانِ، وَالْإِعْجَازِ، وَالتَّشْرِيعِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مُتَحَدِّيًا الْخَلْقَ كُلَّهُمْ: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْأَجْنُ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا 88﴾ [الإسراء: 88]، ومع ذلك لم يستطع أحدٌ على مَرِّ العصور أن يأتي بشيء مثله أو حتى مُقَارِبٍ لَهُ. وَالْإِعْجَازُ فِي الْقُرْآنِ لَيْسَ فَقَطْ فِي لُغَتِهِ الَّتِي بَلَغَتْ قِمَّةَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ؛ بَلْ يَمْتَدُّ لِيَشْمَلَ دَلَائِلَ عَقْلِيَّةً وَعِلْمِيَّةً تُوكِّدُ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ:

فَالْقُرْآنُ تَحَدَّثَ عَنْ حَقَائِقَ عِلْمِيَّةٍ لَمْ تُكْتَشَفْ إِلَّا بَعْدَ قُرُونٍ مِنْ نَزُولِهِ، مِثْلَ مَرَاجِلِ تَطَوُّرِ الْجَنِينِ فِي رَحِمِ الْأُمِّ، حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ 12 ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْقَةً فِي فَرَارٍ مَكِينٍ 13 ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَنَبَّأَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخُلُقِينَ 14﴾ [المؤمنون: 12-14].

مَنْ الَّذِي أَخْبَرَ الرَّسُولَ مُحَمَّدًا ﷺ عَنْ هَذِهِ الْحَقَائِقِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي زَمَنِهِمْ أَجْهَرَةٌ طَبِيبَةٌ تُكْشِفُ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ؟! وَهَذَا مِثَالٌ وَاحِدٌ مِنْ عَشْرَاتِ الْأَمْثَلَةِ الْآخَرَى الَّتِي تُبَيِّنُ لِكُلِّ مُنْصِفٍ أَنَّ مَصْدَرَ هَذَا الْقُرْآنِ رَبَّانِيٌّ، وَأَنَّهُ كِتَابٌ سَمَاقِي نَزَلَ مِنْ خَالِقِ الْكَوْنِ سُبْحَانَهُ.

وَالْقُرْآنُ هُوَ الْكِتَابُ الْوَحِيدُ الَّذِي تَكْفَّلَ اللَّهُ بِحِفْظِهِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ 9﴾ [الحجر: 9]. وَعَلَى مَدَى الْقُرُونِ؛ بَقِيَ الْقُرْآنُ كَمَا هُوَ، مَحْفُوظًا فِي صُدُورِ الْمَلَائِكِينَ،

ومكتوبًا بِدِقَّةٍ فِي الْمَصَاحِفِ، دُونَ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، بِخِلَافِ
الْكِتَابِ الْآخَرِىِّ الَّتِي تَعْرَضَتْ لِلتَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ.

وَالْقُرْآنُ جَاءَ بِتَشْرِيعَاتٍ مُتَكَمِّلَةٍ تُنَظِّمُ حَيَاةَ الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ،
وَتُؤَازِنُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْمَادَّةِ، وَهُوَ مَا لَمْ تَسْتَطِعِ الْفَلَسَفَاتُ الْبَشَرِيَّةُ
أَنْ تُحَقِّقَهُ. قَوَانِينُ الْقُرْآنِ تُخَاطِبُ الْعَقْلَ وَتَتَلَاءَمُ مَعَ الْفِطْرَةِ؛
فَالْقُرْآنُ لَيْسَ كِتَابًا بَشَرِيًّا؛ بَلْ هُوَ رِسَالَةُ اللَّهِ لِلْبَشَرِيَّةِ، مَلِيَّةٌ
بِالدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ، وَمَحْفُوظَةٌ مِنَ التَّحْرِيفِ؛ لِيَبْقَى دَلِيلًا
خَالِدًا عَلَى صِدْقِ رِسَالَةِ الْإِسْلَامِ وَإِعْجَازِهَا.

إِذَا كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَتَضَمَّنُ دَلَائِلَ وَاضِحَةً تُثَبِّتُ أَنَّهُ كَلَامُ
اللَّهِ؛ فَإِنَّ التَّصَرُّفَ الْعَقْلَانِيَّ وَالْمَنْطِقِيَّ هُوَ الْإِيمَانُ بِهِ، وَاتِّبَاعُ مَا
جَاءَ فِيهِ، بَدَلًا مِنَ الْاعْتِمَادِ عَلَى كُتُبٍ أُخْرَى تَأَثَّرَتْ بِتَدَخُّلِ الْبَشَرِ
فِي تَأْلِيفِهَا.

فَالْعَقْلُ السَّلِيمُ يَقُودُنَا إِلَى أَنَّ كَلَامَ الْخَالِقِ، الَّذِي أَبْدَعَ الْكَوْنَ
وَأَثَقَنَ نِظَامَهُ، هُوَ أَصْدَقُ مَصْدَرٍ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ. وَعِنْدَمَا نَجِدُ
فِي الْقُرْآنِ هَذَا الْإِعْجَازَ فِي اللُّغَةِ، وَالْحَقَائِقَ الْعِلْمِيَّةَ،
وَالتَّشْرِيعَاتِ الْمُتَكَمِّلَةَ، إِضَافَةً إِلَى حِفْظِهِ مِنَ التَّحْرِيفِ عَبْرَ
الْعُصُورِ؛ فَلَا مَفَرَّ مِنَ التَّسْلِيمِ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ.

وَعَلَيْهِ: فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ لَيْسَ فَقْطَ خِيَارًا
إِيمَانِيًّا؛ بَلْ هُوَ قَرَارٌ عَقْلَانِيٌّ يَتِمَاشَى مَعَ مَنْطِقِ الْبَحْثِ عَنِ
الْحَقَائِقِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...﴾
[الْإِسْرَاءُ: 9]، فَهُوَ يُرْشِدُ الْإِنْسَانَ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ،
وَيُجِيبُ عَنِ أَسْئَلَتِهِ الْكُبْرَى فِي الْوُجُودِ، وَيَدُلُّهُ عَلَى الْغَايَةِ مِنْ
حَيَاتِهِ.

وقد بيّن الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أنّه لم يخلُقنا عبّاءً، وإنما خَلَقَنَا لِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، فقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْنَاءَ وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ 115 فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ 116 وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ 117﴾ [المؤمنون: 115-117].

وأخبرنا الله في القرآن أنّ هذه الحياة الدنيا التي نعيشها هي مُجَرَّد مرحلة مُوقَّتة ستنتهي قريبا، ولكنّ الحياة الحقيقيّة الأبدية ستكون في الآخرة، حين يدخل المؤمنون الجنّة، ويدخل الكافرون النار. قال الله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ 64﴾ [العنكبوت: 64].

فخالقُ الذي أوجدنا من العدم، قادرٌ بكلِّ تأكيدٍ على أن يُعيدنا إلى الحياة بعد الموت. وفيما حولنا من آياتِ الله في الكون نشهد دليلاً ملموساً على قدرةِ الله اللامتناهية في إحياء ما كان ميتاً. فكما يُخرج الله النارَ من الشجر الأخضر، ويُخرج الزرع والثمارَ من الأرض اليابسة، ويخلق الجنين في بطن أمه من نُطفة؛ فإنّه سبحانه قادرٌ على أن يُحيي الموتى، ويبعثهم من قبورهم للجزاء يوم القيامة، فالله على كل شيء قدير.

قال الله سبحانه في القرآن الكريم: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ 78 قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ 79 الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ 80 أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ 81 إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا

أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ 82 فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ
نُرجِعُونَ 83﴾ [يس: 78-83].

وَمِنَ الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ أَنْ تَنقُضِي حَيَاةَ الظَّالِمِ وَالْمَظْلُومِ دُونَ
حِسَابٍ أَوْ جَزَاءٍ. كَيْفَ يُعْقَلُ أَنْ يَنْجُو الْجَانِي مِنْ عِقَابِهِ، بَيْنَمَا
يُحَرِّمُ الْمَظْلُومُ مِنْ حَقِّهِ؟ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ جَعَلَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مَوْعِدًا لِلْعَدَالَةِ؛ لِيُجَازِيَ كُلَّ إِنْسَانٍ بِمَا قَدَّمَ، فَيُنَازِلُ كُلَّ
مُحْسِنٍ عَلَى أَعْمَالِهِ الْحَسَنَةِ، وَيُعَاقِبُ كُلَّ مُسِيءٍ وَظَالِمٍ عَلَى
سَيِّئَاتِهِ وَجَوْرِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ 28﴾
[ص: 28].

(لِمَاذَا الْإِسْلَامُ؟)

يتساءل الإنسان: لماذا الإسلام وليس غيره من الأديان؟!
لقد أرسل الله رسلاً وأنزل كتباً لنعرف من هو الله وكيف
نعبده. وقد بيّن الله لنا أن هذه الحياة اختبار، وأنَّ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ
وَيَعْمَلُ صَالِحًا؛ سَيَكْفَأُ بِالْجَنَّةِ، وَمَنْ يُعْرِضُ عَنِ اللَّهِ وَيَرْفُضُ
عِبَادَتَهُ أَوْ يَعْبُدُ غَيْرَهُ؛ فَسَيَحَاسِبُهُ اللَّهُ عَلَى رَفْضِهِ لِلْحَقِّ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَى 74 وَمَنْ يَأْتِهُ مُؤْمِنًا قَدْ عَمَلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ
الدَّرَجَاتُ الْعُلَى 75 جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى 76﴾ [طه: 74-76].

إِنَّ الدِّينَ الَّذِي جَاءَ بِهِ جَمِيعُ الرُّسُلِ هُوَ الْإِسْلَامُ، وَيَعْنِي:
الْخُضُوعُ وَالِاسْتِسْلَامُ لِإِرَادَةِ الْخَالِقِ، وَعِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ، وَالْإِيمَانُ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ.

إِنَّ أَكْبَرَ مَا يُمَيِّزُ الْإِنْسَانَ عَنْ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ هُوَ الْعَقْلُ،
ووظيفته: التفكير والبحث عن الحقائق.

إِنَّ الْإِسْلَامَ دِينٌ يَتَوَافَقُ مَعَ الْعَقْلِ السَّلِيمِ وَالْفِطْرَةِ السَّوِيَّةِ، فَهُوَ
يُقَدِّمُ إجاباتٍ مَنْطِقِيَّةً لِلأسْئَلَةِ الوجوديةِ الكُبرى: لماذا نحن هنا؟
وما الِهْدَفُ مِنْ حياتِنَا؟ وما المَصِيرُ بَعْدَ المَوْتِ؟

والإسلامُ يوجبُ الإيمانَ بجميعِ الرُّسُلِ، فيؤمنُ المسلمون
كما أخبرَ اللهُ في القرآنُ أَنَّ عيسى عبدُ اللهِ ورسولُهُ، وأنه ليس
ابنُ اللهِ؛ لأنَّ اللهُ عظيمٌ وحاشاهُ أن يكونَ له زوجةٌ أو وَلَدٌ، فهو
عَنِيَّ عنهُما وعن كُلِّ شيءٍ، وقد أخبرنا اللهُ في القرآنُ أَنَّ عيسى
كانَ نبيًّا أعطاهُ اللهُ كثيرًا مِنَ المُعْجَراتِ، وأنَّ اللهُ أرسَلَهُ لدعوةِ
قومِهِ إلى عبادةِ اللهِ وحدهُ لا شريكَ لَهُ، وأخبرنا أَنَّ عيسى لم
يَطْلُبْ مِنَ النَّاسِ أن يعبدُوهُ؛ بلْ هو بنفسِهِ كانَ يَعْبُدُ خالِقَهُ. فإذا
أردتَ أن تكونَ مُؤمنًا بِعيسى على الحقيقةِ التي يُحِبُّها اللهُ؛ فعليكُ
أن تَدْخُلَ في الإسلامِ، وتؤمنَ بما ذَكَرَ اللهُ في القرآنِ؛ فهو
الكتابُ المَحفوظُ الذي جاءَ لِيُجَدِّدَ رسالةَ التَّوْحِيدِ التي بَعَثَ اللهُ
بها جميعَ الأنبياءِ والرُّسُلِ السابقين.

وأخبرنا اللهُ في القرآنِ أَنَّ عيسى أَمَرَ قَوْمَهُ بعبادةِ اللهِ وحدهُ،
وحذَرَ هُم مِنَ الشِّرْكِ؛ قال اللهُ في القرآنِ الكريمِ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا
اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ
النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ 72 لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ
ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ 73 أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ 74 مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ

الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿75﴾ [المائدة: 72-75].

(سَلْ نَفْسَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ)

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، كَيْفَ يَقْبَلُ عَقْلُكَ أَنْ يَكُونَ الصَّنَمُ الَّذِي صَنَعْتَهُ بِيَدَيْكَ هُوَ الْإِلَهَ الَّذِي تَسْجُدُ لَهُ وَتَطْلُبُ مِنْهُ الْعَوْنَ؟! كَيْفَ تَقْبَلُ أَنْ تَعْبُدَ بَقَرَةً تُذْبِحُ وَتُؤْكَلُ؟! هَلْ مِنَ الْمَنْطِقِ أَنْ يَعْبُدَ الْعَاقِلُ مَخْلُوقًا مِثْلَهُ، يَجُوعُ وَيَعْطَشُ وَلَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ دَفْعَ الْمَوْتِ أَوْ الضَّرِّ؟! وَكَيْفَ تَعْبُدُ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ، وَهُوَ بَشَرٌ كَانَ يَحْتَاجُ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَكَانَ يَتَوَجَّهُ إِلَى خَالِقِهِ بِالصَّلَاةِ؟! أَيْمُنُكَ لِلْعَقْلِ أَنْ يَتَصَوَّرَ أَنَّ الْإِلَهَ يُصَلِّي لِنَفْسِهِ؟!

أَلَيْسَ اللَّهُ هُوَ الْمُنْصِفُ بِالْعِظَمَةِ، الْمَتَفَرِّدُ فِي كَمَالِهِ، الْمُنَزَّهُ عَنِ الشَّبَهِ وَالْمِثْلِ، وَكُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ تَحْتَ قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ؟ كَيْفَ يُعْقَلُ أَنْ يَتَنَزَّلَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيُولَدَ كَطِفْلٍ، ثُمَّ يُسَلِّمَ نَفْسَهُ لَخَلْقِهِ لِيُصَلِّبُوهُ؟ إِنَّ مَنْ يُصَلَّبُ وَيُقْتَلُ هُمُ الْبَشَرُ الْفَانُونَ، أَمَّا الْخَالِقُ فَهُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، الْقَيُّومُ الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ. أَلَيْسَ مِنْ كَمَالِ عِظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ أَنْ يَكُونَ مُنَزَّهًا عَنِ مِثْلِ هَذَا؟

لَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ جَاءُوا بِرِسَالَةٍ وَاحِدَةٍ تَتَلَخَّصُ فِي دَعْوَةِ أَقْوَامِهِمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَلَكِنْ عَبَّرَ الزَّمَنَ حَرَفَ الْبَعْضِ هَذِهِ الرِّسَالَةَ الْخَالِدَةَ، فَطَمَسُوا نُورَ التَّوْحِيدِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ آخِرَ الرُّسُلِ مُحَمَّدًا ﷺ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ؛ لِيُجِدِّدَ رِسَالَةَ التَّوْحِيدِ الَّتِي جَاءَ بِهَا جَمِيعُ الرُّسُلِ مِنْ قَبْلُ.

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ: إِنَّ الْحَقَّ الَّذِي حَمَلَهُ الرُّسُلُ جَمِيعًا هُوَ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ، لَا الْأَصْنَامَ وَلَا الْأَشْجَارَ وَلَا الْحَيَوَانَاتِ، وَلَا الْمَسِيحَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامَ وَلَا الطَّبِيعَةَ، وَلَا الشَّمْسَ وَلَا الْقَمَرَ

وإنَّ الْإِنْسَانَ يُوَلَدُ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ النَّقِيَّةِ، تِلْكَ الْفِطْرَةُ الَّتِي تَهْدِيهِ إِلَى رَبِّهِ بِالْفِطْرَةِ وَالْعَقْلِ، لَكِنَّ الْبَيْئَةَ الْمَحِيطَةَ مِنْ عَائِلَةٍ أَوْ مُجْتَمَعٍ؛ قَدْ تُغَيِّرُ هَذِهِ الْفِطْرَةَ وَتَدْفَعُهُ إِلَى طَرِيقٍ آخَرَ.

قَارِنْ بَيْنَ دِينٍ يَأْمُرُكَ بِعِبَادَةِ الْخَالِقِ الْوَاحِدِ الْكَامِلِ، وَبَيْنَ دِينٍ يَصِفُ الْإِلَهَ بِالْعَجْزِ وَالضَّعْفِ، فَأَيُّ مِنْهُمَا يَتِمَاشَى مَعَ الْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ؟

وختاماً نقول لك أَيُّهَا الْإِنْسَانُ:

إِنَّ الْإِسْلَامَ دِينُ الْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ، وَهُوَ الدِّينُ الْوَحِيدُ الَّذِي شَرَعَهُ الْخَالِقُ الْعَظِيمُ لِلْبَشَرِيَّةِ، وَهُوَ دِينُ الْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ لِلنَّاسِ جَمِيعًا، لَا يُفْضَلُ عِرْقًا عَلَى عِرْقٍ، وَلَا لَوْنًا عَلَى لَوْنٍ، وَالنَّاسُ فِيهِ سَوَاسِيَةٌ، لَا يَتَمَيَّزُ أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا بِقَدْرِ عَمَلِهِ الصَّالِحِ، وَهُوَ الدِّينُ الْوَحِيدُ الَّذِي يُؤْمِنُ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، وَيَجْعَلُ عِلَاقَةَ الْعَبْدِ بِخَالِقِهِ مُبَاشَرَةً بَدُونِ الْحَاجَةِ لَوَاسِطَةٍ، وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي يَأْمُرُ بِالتَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ، وَيَحْتَضُّ عَلَى إِعْمَالِ الْعَقْلِ وَالْمَنْطِقِ. فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ عَاقِلٍ أَنْ يُبَادِرَ إِلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ؛ وَذَلِكَ بِأَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَهَذَا أَمْرٌ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ فِيهِ اخْتِيَارٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سَيَسْأَلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا أَجَابَ بِهِ الرُّسُلَ؛ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا؛ فَلَهُ الْفَوْزُ وَالْفَلَاحُ الْعَظِيمُ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا؛ فَلَهُ الْخُسْرَانُ الْمُبِين.

فإذا أردت سعادة الدنيا والآخرة، وأردت أن تتخذَ أعظمَ قرارٍ في حياتك؛ فعليك أن تدخلَ في الإسلام، وذلك بأن تقولَ هذه الكلمات مؤمناً بها من قلبك:

(أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمدًا رسولُ الله)، وبهذا تكونُ مسلمًا.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخُسْرَيْنِ 85) [آل عمران: 85]

(ثمَّ تبدأ في تعلم شرائع الإسلام شيئًا فشيئًا؛ لتقوم بما أوجبه الله عليك)

ويمكن التعرف على الإسلام بزيارة هذا الموقع:

byenah.com

ar403v1.0 - 04/09/2026